يعتقدون أن التوسع الإسرائيلي مهمة مقدسة: 'اليمين المسيحي' وتأثير متزايد في السياسة الخارجية الأمريكية

10-7-2004

إن هؤلاء أصبح صوتهم عالياً، وقد استطاعوا أن يحولوا قضية دعم ومساندة إسرائيل إلى قضية محورية، تحظى بمكانة متقدمة على قائمة أولويات الأحزاب الأمريكية، بل والإدارة الأمريكية نفسها، إلى درجة أصبح معها تأييد الرئيس بوش لشارون يفوق بمراحل، التأييد الذي تحظى به إسرائيل من جانب أكثر الصهاينة اليهود تشدداً

بقلم عبدالله صالح

شكل تيار اليمين المسيحي في الولايات المتحدة أحد القوى المؤثرة في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية، وبصفة خاصة تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، حيث سعى دائماً لممارسة الضغوط على الإدارات لأمريكية المتعاقبة من أجل الدفع في اتجاه إقامة وطن لليهود في فلسطين، واستخدم لتحقيق ذلك كافة وسائل العمل السياسي والإعلامي والمنابر اللاهوتية. وقد أسهمت التحولات العميقة في الثقافة الدينية الأمريكية منذ السبعينيات إلى اليوم، في خروج الكنائس من الزوايا وهوامش المجتمع، إلى صدارة الحدث السياسي والاجتماعي، بفضل ثورة الإعلام والاتصال، وانتشرت ظاهرة "الكنائس التلفازية"، وتوسعت الطوائف الأصولية على حساب المسيحية التقليدية.

لم تكن الأصولية البروتستانتية التقليدية فيما مضى تهتم بالمشاركة في العمل السياسي، الذي كان ينظر إليه باعتباره صراعاً دنيوياً لا يجوز الانخراط فيه، ولكن هذا الأمر تغير فى نهاية السبعينات، بفضل جهود الجمهوريين المحافظين، الذين أدركوا أن عزلة الحزب الجمهوري وعدم انفتاحه على قضايا وقوى أمريكية جديدة، ستحوله إلى حزب أقلية، لاسيما أن الحزب على مدى الخمس عقود الماضية، لم يتمكن من الفوز إلا في 12 انتخابات رئاسية، ولم يسيطر على الكونجرس إلا خلال دورتي انعقاد فقط من بين 24 دورة انعقاد للكونجرس.

وقد برز التأثير الكبير لليمين المسيحي على الإدارات الأمريكية منذ وصول "المحافظين الجدد" إلى الحكم في عهد الرئيس رونالد ريجان عام 1980، مما جعل مفكرو هذا اليمين المحافظ يعبرون عن جوهر فكر اليمين المسيحي، ويوظفونه في السياسة الخارجية الأمريكية، وتشكل تحالف وثيق بين المحافظين الجدد واليمين المسيحي، عبر عن نفسه بصورة واضحة في سياسات إدارة بوش الحالية.

ومع تصاعد نفوذ قادة اليمين الدينى وتبنيهم مواقف محافظة من القضايا التى تحظى بقدر كبير من الجدل، مثل حقوق المرأة، والاجهاض، وتعليم الثقافة الجنسية والسماح بالعلاقات المثلية، استطاع الجمهوريون أن يجتذبوا الملايين من المسيحيين الأصوليين، من خلال العديد من المنظمات التى أنشئت لهذا الغرض، فضلاً عن برامج الإذاعة والتليفزيون الموجهة بهدف اجتذاب قطاع كبير من المسيحيين الأصوليين، وبذلك استطاع الجمهوريون أن يفوزوا فى أربعة من بين ستة انتخابات رئاسية، وأن يهيمنوا على مجلس الشيوخ لسبع دورات انعقاد من بين 12 دورة انعقاد للمجلس، فضلاً عن سيطرتهم على مجلس النواب خلال العقد الأخير.

وقد أصبح قادة اليمين المسيحي يتمتعون بنفوذ كبير في تحديد أولويات وتوجهات الحزب الجمهوري في حوالي نصف الولايات الأمريكية، وبصفة خاصة في ولايات الوسط والجنوب وكما أشارت صحيفة "واشنطون بوست"، فإنه للمرة الأولى منذ صعود المسيحيين المحافظين كقوة سياسية معاصرة، أصبح الرئيس الأمريكى بمثابة القائد الفعلي لهم من الناحية الواقعية، وقد عبر عن ذلك أحد قادة اليمين المسيحي بقوله "إن الرب يعرف أن جورج بوش يستحق أن يكون قائداً للحركة المسيحية الأصولية، ولهذا اختاره لهذه المهمة".

وخلال العقود الماضية، كانت مواقف الجمهوريين تجاه اسرائيل أكثر اعتدالاً، بالنظر إلى روابط الحزب مع شركات النفط العربية، فضلاً عن اعتقاد المحافظين آنذاك بأن مزيداً من التأييد لاسرائيل، سوف يدفع العرب، وخاصة من ذوي التوجهات القومية، نحو السوفيت. ولكن الأمور تغيرت بفضل تزايد نفوذ اليمين المسيحى.ورغم أن تأييد الأصولية المسيحية لاسرائيل يرجع لسنوات عديدة سابقة ، فإن قضية دعم إسرائيل لم تحتل مكانة متقدمة ضمن أولويات الحركة إلا خلال السنوات الأخيرة.

وقد أدرك اليهود الأمريكيين ضرورة التحالف مع اليمين المسيحي، لاعتبارات ديموغرافية بحتة، حيث إن اليهود في الولايات المتحدة لا يشكلون سوى 3% من الشعب الأمريكي، وقد أدرك الإسرائيليون أيضاً النفوذ السياسي لليمين المسيحي منذ عدة سنوات، وبصفة خاصة منذ نهاية التسعينات، وهناك تصريح لرئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو يقول فيه: ليس لدينا أصدقاء وحلفاء أوثق من الجناح اليميني المسيحي في أمريكا.

وهناك العديد من المواقف التي تمكن الحزب الجمهوري خلالها أن يقاوم ضغوط جماعات الضغط اليهودية، وعلى سبيل المثال، فإن إدارة الرئيس ايزنهاور مارست ضغوطاً كبيرة على إسرائيل خلال أزمة السويس عام 1956، كما أن إدارة الرئيس ريجان قامت بتصدير طائرات الإيواكس (الانذار المبكر) للمملكة السعودية عام 1981 رغم معارضة إسرائيل الشديدة لذلك، وأيضا قررت إدارة بوش تأجيل مبلغ العشرة مليارات دولارت، ضمانات القروض لإسرائيل، انتظاراً لما سوف تسفر عنه انتخابات عام 1992، ولم تفلح ضغوط اللوبي اليهودي في ثني الولايات المتحدة عن قرارها.

ومع تصاعد نفوذ اليمين المسيحي، أصبح لدى الحزب الجمهوري هيئة ناخبة عريضة من المسيحيين الأصوليين لا يمكن تجاهلها. وكما قال أحد القادة الجمهوريين، فإن هؤلاء أصبح صوتهم عالياً، وقد استطاعوا أن يحولوا قضية دعم ومساندة إسرائيل إلى قضية محورية، تحظى بمكانة متقدمة على قائمة أولويات الأحزاب الأمريكية، بل والإدارة الأمريكية نفسها، إلى درجة أصبح معها تأييد الرئيس بوش لشارون يفوق بمراحل، التأييد الذي تحظى به إسرائيل من جانب أكثر الصهاينة اليهود تشدداً.

وقد ظهر التأثير البالغ لليمين المسيحي على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في العديد من المواقف، وعلى سبيل المثال، فإنه في أعقاب إدانة بوش المبدئية لمحاولة اغتيال عبد العزيز الرنتيسى في يونيو 2003، قام اليمين المسيحى بتعبئة أنصاره، الذين

قاموا بإرسال آلاف من رسائل البريد الاليكتروني، للاحتجاج على انتقادات الولايات المتحدة للسلوك الإسرائيلي. وكان العنصر الهام في هذه الرسائل الاليكترونية هو التهديد الذي تضمنته ومفاده أنه إذا استمرت الضغوط الأمريكية على إسرائيل، فإن اليمين المسيحي سيقاطع الانتخابات. وخلال 24 ساعة، كان هناك تغير ملحوظ في لهجة الرئيس الأمريكي، إذ دافعت الإدارة الأمريكية، كما فعلت مع عملية اغتيال الشيخ أحمد ياسين زعيم حركة حماس في الشهر السابق على اغتيال الرنتيسي، بقوة عن السلوك الإسرائيلي ضد ما أسمته بالإرهاب الفلسطيني.

وعندما أصرت الإدارة الأمريكية على ضرورة أن توقف اسرائيل عدوانها على الضفة الغربية فى أبريل 2002، تلقى البيت الأبيض أكثر من 100 ألف رسالة إليكترونية من اليمين المحافظ، تحتج على انتقاد الإدارة الأمريكية للتصرفات الإسرائيلية، وهو ما دفع بوش في الحال إلى التراجع، وتبرير العدوان الإسرائيلي، باعتباره رد فعل على الهجمات الفلسطينية التي ينفذها رجال المقاومة. وحين أعلن بوش تأييده لخارطة الطريق، انهالت عليه آلاف البطاقات البريدية من جانب المسيحيين الأصوليين، الذين أعلنوا اعتراضهم على أية خطة تتحدث عن دولة فلسطينية، وهو ما دفع بوش للإعلان عن سحب تأييده لخارطة الطريق، التي أصبحت فيما بعد بمثابة جثة هامدة.

ويعتقد المسيحيون الأصوليون بأن سيطرة إسرائيل وتوسعها الإقليمي ضروري لتسهيل العودة الثانية للمسيح. ورغم أن هذه العقيدة تشكل عنصراً هاماً في تأييد اليمين المسيحى لإقامة دولة يهودية توسعية وعدوانية، فإن الأصوليين المسيحيين في الولايات المتحدة يستندون في تأييدهم لهذه الدولة اليهودية إلى اعتقاد أكثر خطورة، مفاده أن هناك انقساما في العالم بين خير مطلق وشر مطلق، وهذه العقيدة تعززت بقوة في أعقاب أحداث 11 سبتمبر.

ففي اليوم التالي لهجمات 11 سبتمبر، أعلن الرئيس بوش أن هناك صراعاً بين قوى الخير وقوى الشر، وأن الولايات المتحدة ستحارب تنظيمات الإرهاب ومن يساندها ويقف وراءها، مشيراً إلى ثقته في أن الخير سينتصر في النهاية، وستتمكن الولايات المتحدة من قهر أعدائها. والأمر الأكثر إزعاجاً، هو أن بوش أعلن أن الحرب على الإرهاب هي مهمة عهد الرب إليه بها، من أجل الدفاع عن دولته العظمى وهيبتها والتخلص من قوى الشر.

ومن جانب آخر، فإن كثيراً من أنصار اليمين المسيحي يعتبرون أن ما تتبعه إسرائيل من سياسة توسعية هو جزء من مهمة إلهية مقدسة. ورغم ذلك، فإن هناك خلافات إيديولوجية كبيرة بين مسيحيي الولايات المتحدة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية، ويعتقد البعض أن الفجوة الايديولوجية بين المسيحيين المحافظين وبين بقية الأمريكيين فيما يتعلق بالغزو الأمريكي للعراق والحرب على "الإرهاب" أكثر عمقاً من الفجوة القائمة بين المسيحيين المحافظين وبقية الأمريكيين فيما يتعلق بإسرائيل والفلسطينيين.

ورغم أن هناك دلائل قوية على أن المساندة الأمريكية للسياسات التوسعية الإسرائيلية لا تخدم مصالح أمريكا، فإن هناك اعتقادا أمريكيا قويا بأن إسرائيل تشكل عنصراً جوهرياً لا غنى عنه في سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط.

أياً ماكان الأمر، فإن مساندة أمريكا لإسرائيل، وقبولها بحكومات إسرائيلية قمعية، هو جزء من حسابات إستراتيجية أمريكية، أكثر من كونها مجرد سياسات انحيازية، فعندما يتطلب الأمر اتخاذ قرار ما، فإن اعتبارات الجغرافيا السياسية تتغلب على الولاءات الدينية، وعلى سبيل المثال فإنه خلال ربع القرن الأخير، ساندت الولايات المتحدة غزو اندونيسيا لتيمور الشرقية، وتساند الآن الغزو المغربي للصحراء الغربية، على الرغم من غياب جماعات الضغط الاندونيسية الأمريكية، أو المغربية الأمريكية. ومما ساعد الولايات المتحدة على مساندة الغزو الأندونيسى والمغربي هو العامل المتعلق بالجغرافيا السياسية، وضعف أهمية البلدين في إطار الاستراتيجية الأمريكية، وهو ما لا ينطبق على الوضع القائم بين إسرائيل والفلسطينيين.

لقد ظل اليمين المسيحي هدفاً مفضلاً للحزب الديمقراطي، خاصة جناحه الليبرالي، ولاسيما مع تصاعد النفوذ السياسي لهذا اليمين المسيحي، بل إن مواقف معظم الليبراليين الديمقراطيين في الكونجرس فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، تعد أقرب إلى هؤلاء المنتمين إلى الائتلاف المسيحي الرجعي، منه إلى أنصار المجلس الوطني للكنائس المعتدلين، وأقرب إلى الأغلبية المفرطة في المحافظة، منه إلى الكنائس الليبرالية فيما يتعلق بالسلام في الشرق الأوسط.

وهناك اتهام بمعاداة السامية يوجه لهؤلاء الذين يطالبون بالحقوق المشروعة للفلسطينيين ومن بينهم جماعات الضغط العربية، التي توجه انتقادات لاذعة للديمقراطيين في الكونجرس، متهمة إياهم بأنهم سقطوا أسرى لليمين المسيحي. وهذه القوى العربية تعتقد أن هذا التوبيخ سوف يؤتى ثماره، ويزيد من قدرة المساندين للسلام والعدالة وحكم القانون، وربما يحرك البعض للتنديد بممارسات إسرائيل التوسعية.

ولكن هؤلاء الذين يساندون الموقف الفلسطيني وحقوقه المشروعة، ويطالبون بتطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني على المدنيين والأسرى، عليهم أن يذهبوا أبعد من هدف السعي لزيادة الوعي بالقضية، إلى المواجهة المباشرة مع هؤلاء الذين يساهمون في تسهيل الممارسات القمعية لإسرائيل، ومواجهة النفوذ المهيمن لليمين المسيحي في تشكيل السياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، ولاشك أنها مهمة صعبة، مادام أصحاب القرار الأمريكي يدينون بالفضل الأكبر في الوصول لمناصبهم لليمين المسيحي، ولكن الأمل مازال يراود الكثيرين في تحرك قوى أخرى ـ غير عربية ـ وفى مقدمتها الكنائس الأم لدعم الحق والعدل، والسعي لموازنة قوة اليمين المسيحي في أمريكا، وهو تحرك بدت بعض ملامحه في الانتقادات التي وجهت للرئيس بوش وإدارته خلال جولته الأوربية الأخيرة، من جانب العديد من الكنائس الأوربية، بسبب سياسته في الشرق الأوسط ودعمه غير المحدود لسياسات إسرائيل العدوانية.

للعودة للأعلى